Journal of Scientific and Human Dimensions
مجلة الأبعاد العلمية والإنسانية
Volume 2, Issue 2, 2026 Pages: 84-93
Journal homepage: https://jshd.com.ly/index.php/jshd/en

The Incoherence of Orientalist Methodologies and Their Westernized Followers in the Study of the Qur'an and Its Sciences

Dr. Yousef Moussa Ali Abdullah Abu Aliqa *
Department of Philosophy, Faculty of Education – Al-Awainiya, Gharyan University, Gharyan, Libya

هافت مناهج المستشرقين واتباعهم المغتربين في دراستهم للقرآن الكريم وعلومه

د. يوسف موسى علي عبدالله ابو عليقة *
قسم الفلسفة، كلية التربية – العوينية، جامعة غريا ن، غريا ن، ليبيا

*Corresponding author: Yma2018@Yahoo.com

Received: February 14, 2026	Accepted: March 25, 2026	Published: April 17, 2026

Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This research presents a methodological critique of Western Orientalists' approaches to the study of the Qur'an and its sciences. Although their methods vary in tools and techniques, they converge on a single objective: to cast doubt on Islamic belief, limit the spread of Islam, and weaken its authentic civilization and intellectual foundations.
Some Orientalists attempted to portray Islam as fragmented into separate religions—such as the Islam of the Sufis, the Islam of the jurists, and political Islam—in an effort to dismantle the unity of creed and strip it of its spiritual and moral substance. Others sought to trace Islam back to external Jewish or Christian origins in order to argue that the Qur'an is of human authorship, leading to the formation of a distorted image of Islam in Western consciousness.
The danger of these methodologies lies in their reliance on the so called "influence and borrowing" theory, which asserts that the Qur'anic text was influenced by earlier religious traditions, without adhering to scientific research standards or observing objectivity and intellectual neutrality.

Keywords: Orientalism – Islam – Creed – Methodologies - Arab Expatriates**.**

الملخص
يُبرز هذا البحث نقداً منهجياً لأساليب المستشرقين الغربيين في تناول القرآن الكريم وعلومه، حيث اتسمت مقارباتهم بتعدد الأدوات والطرائق، لكنها اجتمعت على غاية واحدة: التشكيك في العقيدة الإسلامية، والحد من انتشار الإسلام، وإضعاف حضارته وفكره الأصيل. فقد سعى بعضهم إلى تصوير الإسلام وكأنه أديان متفرقة؛ منها إسلام المتصوفة، وإسلام الفقهاء، والإسلام السياسي، في محاولة لتفكيك وحدة العقيدة وإفراغها من مضمونها الروحي والمعنوي. كما عمدوا إلى ردّ الإسلام إلى أصول خارجية، يهودية أو مسيحية، لإثبات أن القرآن بشري المصدر، وهو ما أفضى إلى تكوين صورة مشوهة عن الإسلام في الوعي الغربي. وتتمثل خطورة هذه المناهج في اعتمادها على ما يُعرف بمنهج "التأثير والتأثر"، الذي يقوم على الزعم بتأثر النص القرآني بالديانات السابقة، دون التزام بقواعد البحث العلمي أو مراعاة الموضوعية والحياد الفكري.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الإسلام، العقيدة، المناهج. المغتربين العرب.

المقدمة:

اعتمدت اغلب دراسات المستشرقين للعلوم الإسلامية وعلى راسها القرآن الكريم وعلومه، على مناهج بحثية بعيدة عن الأسس العلمية والموضوعية في التوثيق والتحليل. وقد ترسّخ لدى المفكرين والفقهاء وعلماء المسلمين، بمختلف مدارسهم، قناعة راسخة بأن معظم هذه الدراسات قامت على أسس غير صحيحة، الأمر الذي جعل هذا الاعتقاد في حكم المسلّمات البديهية.

فالمستشرق الدارس للقرآن الكريم لا ينطلق من المسلّمة العقدية التي يؤكدها علماء المسلمين، وهي أن النص القرآني وحيٌ إلهي منزّل من عند الله تعالى، منزه عن النقص والخلل؛ بل يتعامل معه باعتباره نصًا بشريًا أو وثيقة تاريخية، ويخضعه لمعايير مناهج دراسة الأديان الأخرى وتاريخ المجتمعات، بعيدًا عن خصوصيته العقدية.

وبالتالي فإن الخلل المنهجي في الدراسات الاستشراقية يعود إلى اعتمادها مناهج غربية نشأت وتطورت في سياقات زمنية ومكانية مغايرة، محكومة بتفاعلات اجتماعية وفكرية تتناقض، بل تتصادم، مع الرؤية الإسلامية. بل إن بعض هذه المناهج حملت في أصلها نزعة عدائية تجاه الإسلام ذاته، فجاءت دراسات المستشرقين للقرآن الكريم وعلومه مشوبة بمقاصد غير بريئة، رغم ما أظهروه من اهتمام بالغ بتفسيره وعلومه. ولا شك أن الدراسات القرآنية شكّلت ميدانًا خصبًا لتلك الأقلام، جيلاً بعد جيل، بين بحثٍ وتحليلٍ ونقدٍ.

والأخطر من ذلك أن الاستشراق حقق نجاحًا ملحوظًا في التأثير على الحياة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي، حيث تسللت المصادر الغربية إلى التكوين المعرفي لأبناء الأمة، فأثرت في نظرتهم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه وسائر العلوم الشرعية، بل وفي منهجية التعامل مع هذه المصادر. كما امتد أثر الفكر الغربي إلى مجالات معرفية أخرى كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا.

الجدير بالذكر إن أغلب المستشرقين الذين تناولوا القرآن الكريم لم يؤمنوا بكونه وحيًا إلهيًا، ومهما حاولوا الالتزام بالموضوعية والحياد، فإنهم وقعوا في أخطاء جسيمة ونظريات واهية، تراوحت بين سوء الفهم وسوء النية.

من هنا، يتعين على الباحثين المسلمين أن يتعاملوا مع الدراسات الاستشراقية بوعي نقدي، يراعي طبيعة المناهج المستخدمة ومواطن الخلل فيها، وأن يتتبعوا خطوات المستشرقين بدقة، للكشف عن مواطن الضعف والانحراف. ولا شك أن أغلب هذه المناهج تعتمد انتقاءً خاصًا لمصادر معينة، يختلف باختلاف الموضوع المدروس وبحسب درجة أمانة الباحث الغربي وموضوعيته في توظيف تلك المصادر.

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية البحث في طرح أسئلة جوهرية هي: هل التزم المستشرقون بالمنهج العلمي الدقيق في دراسة القرآن؟ وهل كانت قراءاتهم موضوعية ومنفتحة؟ أم أنها انطلقت من رؤية أحادية قائمة على التشكيك المسبق؟ وما مدي تأثير منهج المستشرقين على المغتربين العرب؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كشف انحراف تلك المناهج عن الأسس العلمية السليمة، والتنبيه إلى خطورة نتائجها على وعي المسلمين والباحثين.

أهداف البحث:

أما أهداف البحث فتتمثل في توعية الجيل المعاصر بمكامن الخلل في الدراسات الاستشراقية، وتحذير الباحثين من الانسياق وراء مناهج ظاهرها علمي وباطنها تشويه مقصود.

منهج البحث:

اعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي التاريخي، إلى جانب التحليل النقدي، لرصد الوقائع وتفكيك الآراء ومناقشتها.

بنا عليه قسم هذا البحث الى ثلاثة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: منهج التشكيك.

المحور الثاني: منهج التأثير والتأثر:

المحور الثالث: انتقال منهج المستشرقين إلى أقلام المغتربين العر

وديل بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المحور الأول: منهج التشكيك.

أن منهج التشكيك هو أحد المناهج التي ينتهجها المستشرقون، بل هو العماد الذي يتكئ عليه الفكر الغربي، فقد اتفق المستشرقون الغربيين مع أسلافهم المغتربين في اتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول القرآن الكريم وعلومه، معتمدون في ذلك على عملية انتقاء المناهج بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج تسيء وتشكك في نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد ادعي كثير من المستشرقين أن النص القرآني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد نالته تعديلات بالزيادة والنقصان خاصة في صورته المكتوبة، التي كانت بأيدي بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وغايتهم من ذلك زلزلة العقيدة وفتح باب الشك والارتياب، بين تلاميذهم واقرانهم المغتربين. مما إثر سلباً على عقولهم وزعزع ثقتهم في صحة النص القرآني، ودفعهم إلى الشك في أمانة جمعه وترتيبه، ونقله وسلامة تبليغه.

فهؤلاء المستشرقون المغرضين ينكرون كون القرآن الكريم وحي من الله تعالى، ويترتب على إنكارهم هذا إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم، ويتبع ذلك قولهم: ببشرية القرآن الكريم، وإنه من صنعه صلى الله عليه وسلم، ولذلك رُكزت جهودهم ودراساتهم وأبحاثهم في علوم القرآن الكريم حول مصدرية النص؛ معتمدين في ذلك على روايات الاختلاف، وينقلونها في غير تحرياً لأسانيدها، بل لا يلتفتون إلى آراء الفقهاء وعلماء المسلمين فيها. محاولة منهم على التأكيد بإن القرآن الكريم تأثر باليهودية والنصرانية .فهذا مثلاً، اليهودي برنارد لويس يرى: " أن محمدًا خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن "[1]

هو ما يؤكده أيضا، المستشرق اليهودي إبراهام جيجر في كتابه (ماذا اقتبس محمد من اليهودية) بقوله: "إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود"[2]

والجدير بالذكر أن منهج التشكيك هذا متوارث بين أجيال المستشرقين جيلاً بعد جيل؛ فالجيل المعاصر يتبع أسلافه تبعية عمياء، إذ يسيرون في ركابهم ويطبقون مناهجهم وقواعدهم مخالفين للقواعد العلمية الصحيحة، والمتعارف عليها عند العلماء والباحثين، ويبالغون كثيراً إلى حد التعدي في التشكيك في الآثار والروايات التاريخية التي تتصل بالقرآن الكريم وعلومه، وعلى وجه الخصوص فيما يتصل بالقصص القرآني الذي له نصيب كبير من مغالطات وافتراءات وشبهات المستشرقين.

فهذا مثلاً، أكبر المستشرقين جولد تسهر يقول: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة

[1] أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق المنتدى الإسلامي، لندن 1411هـ، ص112.
[2] محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت،1983 م. ص108

بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة.... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يُعد هذه التعاليم وحيًا إلهيًّا"[3]

فالتشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي، جعلهم يجزمون، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام استقى تعاليمه من الديانتين اليهودية والمسيحية، وكان من أبرز من قال بذلك: بلاشير، جيوم، نولدكه وسايدر سكاي.

حيث يتحدث بلاشير في كتابه "معضلة محمد" عن القصص القرآني فيقول:" وقد كان التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولى، إذ كثيراً ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي"[4].

أما ألفريد جيوم فيقول:" أما حياة الرسول خلال السنوات الخمس عشرة، التي انقضت بين زواجه وبدء دعوته فلا نعرف – لسوء الحظ – إلا اليسير، في أي شيء كان يفكر الرسول؟ من أولئك الذين قابلهم، فاستطاعوا أن يمدوه بمعلومات عن اليهودية والمسيحية اللتين طالب بتصحيح كتابيهما المقدسين؟ "[5].

ثم يمضي ألفريد قائلاً:" لقد أعلن محمد أنه أتى برسالة من عند الله، يؤيد فيها ما أنزل على اليهود والنصارى، ومن الطبيعي أن يتجه تفكيرنا إلى الظن بوجود اتصال بينه وبينهم، ثم قال: لذا اتجه إليهم حين جاهر بنبوته ليطلب تأييدهم، وإن كان لا بد له أن يفعل ذلك باعتباره أحد أفراد قبيلة وثنية يدعو إلى التوحيد"[6].

مؤكداً أن مصدر القصص القرآني هو التشابه الحاصل بين هذا القصص وبين القصص اليهودي والمسيحي، وقد كان التأثير واضحاً في السور المكية، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، استقى تعاليمه من الكتابيين" ويتعدى هذا الشك إلى جمع القرآن الكريم وترتيبه، فيقولون زوراً وبهتاناً أن النص القرآني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد نالته تعديلات كثيرة بالزيادة والنقصان بعد تبليغه للناس خاصة بعدما دُون وكُتب"[7].

إلا إن هذا مردود عليه فموقف أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، الحازم من جمع القرآن كما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد وفاته لموقف واضح لا لبس فيه ولا غموض، فقد حرصا كل الحرص من خلاله على الحفاظ عليه من أي زيادة أو نقصان، ولو في حرف منه أو حركة وسكون، ناهيك عن كلمة أو آية، وقد تشددا في سبيل ذلك غاية التشدد، وأخذا بالاحتياطات والإجراءات اللازمة ما يدفع أية تهمة أو شك في سلامة النص القرآني، كما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلقاه الصحابة منه.

فالمستشرقون بالرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلاً بعد جيل، الا إنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر، فـــــــ:"أن القرآن الكريم قد جُمع وفق منهج علمي رصين قوامه التوثيق والدقة والتثبت، وقد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات"[8]

هذا ما تنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم. إضافة إلى ذلك خاصية الحفظ في الصدور عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تميز بها أبناء الأمة الإسلامية، وهي دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان.

---

[3] جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة 1948م.، ص 12.

[4] بلاشير: كتاب "القرآن" نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1974م ص11-12

[5] ألفريد جيوم: الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هداره ود. شوقي اليماني، مصر: مكتبة النهضة، ط1، 1958م، ص31

[6] المرجع نفسه، ص31

[7] دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، النسخة العربية (القاهرة: دار الشعب).405/5

[8] لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978م، ص 323.

حيث يعتمدون المستشرقون في هذا المنهج على العملية الانتقائية التي تهدف إلى ما يسعون إليه، من اظاهر نتائج عكسية، كما أن عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه، بل وفي الشك فيمن نقله إلينا عن الله عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

المحور الثاني: منهج التأثير والتأثر:

لعل هذا الوجه من أبرز دلائل تهافت مزاعم الاستشراق حول تأثر القرآن الكريم باليهودية والنصرانية؛ لأن هذا المنهج -يعني الأخذ بالنَّزعة التأثيرية- نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل العلوم الإسلامية بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية. وعلى راسهم اليهودي إبراهام جيجر A. Geiger أصدر عام 1833م كتاباً يحمل عنواناً مثيراً هو: (ماذا اقتبس محمد من اليهودية) جاء فيه: "إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود"[9]

كذلك المستشرق ريتشارديل مؤلف كتاب (مقدمة القرآن)، يقول: " أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قد اعتمد في كتابه على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص العقاب كقصة عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية " [10].

واستنادًا إلى العناصر المشتركة بين القصص القرآني وقصص العهدين. يقول جولدتسهر: " لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم" [11] ويستطرد موضحًا طريقة الإفادة، بقوله: " إن محمدًا أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من دون أي تنظيم "[12].

أما المستشرق اليهودي فنسنك فيخرج بدائرة الإفادة عن حدود العهد القديم، ويربط لنا بوضوح بين هذا الزعم وسابقه والفرضية الأساسية والمنطلق الذي تفرعت عنه هذه الادعاءات، قائلا: "النبي كان يُبَشّر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمَّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله، وليثبِّت أتباعه القليلين من حوله"[13]

ويتضح من ذلك أن أبحاث هؤلاء المستشرقين جاءت لتفكك مضامين القرآن الكريم؛ لتردها إلى عناصر توراتية، يهودية مزعومة؛ ذلك لأنهم كانوا يستبعدون أن تصدر هذا القصص الأسطوري عن الله. ومن هنا وقفوا موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا أن القرآن بناؤه أساس من الأساطير القديمة. حيث يؤكد ذلك اليهودي برنارد لويس قائلاً: " أن محمدًا خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن."[14].

ومما لا شك فيه أن الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج -التأثير والتأثر -تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية وموضوعات التوراة والإنجيل.

[9] البنداق، مرجع سابق ،1983 م. ص 108
[10] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط1، 1404هـ ص84.
[11] جولدتسهر، مرجع سابق، 1948م، ص 15.
[12] جولدتسهر، مرجع سابق 1948م.ص25
[13] أحمد عبد الحميد غراب، مرجع سابق، ص 91
[14] أحمد عبد الحميد غراب، مرجع سابق، ص 112

المحور الثالث: انتقال منهج المستشرقين إلى أقلام المغتربين العرب

إذا كان من المتعارف عليه أنْ يُشكِكَ الغربُ اليهودي والنَّصرانيُّ في مصادرِهم المُقدَّسة؛ كالفيلسوف جون لوك الذي يرى إنه: " لم تبقَ حاجة أو نفعٌ للوحيِ، طالما الله أعطانا وسائلَ طبيعيةً أكثَرَ يقينًا لنتوصَّل بها إلى المعرفة"[15].

ذلك اماناً منه أن كتبهم اعتَراها التحريفِ والتلاعب عبر العصور، وهو ما يؤكده، باروخ اسبينوزا بقوله:" أنَّ الكتبَ المُقدَّسة ليست مصادرَ للحقيقةِ عنده، وليست الأديان إلَّا أدَواتٍ للتنظيم الاجتماعيّ والأخلاقيّ، ويرى أنَّنا لسنا مُلزَمين بالإيمانِ بالأنبياءِ إلَّا فيما يتعلَّقُ بغايةِ الوحيِ وجَوهره، والغايةُ التي يَقصِدها: محبَّة اللهِ ومحبَّةُ الناسِ وفِعلُ الخير[16].

لكن أنْ تَنتقِلَ هذه الفكرةُ المُلحِدةُ إلى المسلمين من اتباع المستشرقين، وبين أيديهم وَحيٌ قد تكفَّل اللهُ بحِفظِه بنفسِه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9)، فهذا مما لا يقبله باحث منصف، فَضلًا عن إنه مؤمنٍ باللهِ وبما أُنزِلَ من كُتُبِه على رُسُلِه عليهم السلام.

لذا فأن ما نريد ان نشير اليه في هذا الشأن هو تأثير المستشرقين في بعض المغتربين وطلاب العلم المسلمين الدارسين في الغرب المسيحي، الذين شكَّكوا في قُدُسيَّة النصِّ الإلهي من امثال: الشاعر والمفكر الاكاديمي السوري أدونيس 1930م، والمفكر حسن حنفي 1935م والفيلسوف محمد أركون 1928م ومحمد شحرور1938م، وطه حسين 1889م غيرهم.

فهذا مثلا: أدونيس يُبطِل مفهومَ النبوَّةِ أوَّلًا لِيَصِل به إلى إبطالِ النصّ الإلهيّ، حيث يقول: "النبوَّة تقومُ على الوحي الذي ينزّله الله، ولمَّا كان اللهُ واحدًا، فإنَّ مصدرَ النبوَّةِ واحدٌ، ولهذا يجب أنْ يكونَ الوحيُ واحدًا، وبما أنَّ اللهَ لا يُمكِن أنْ يتناقضَ، فإنَّ الأنبياءَ هم الذين يتناقضون، ومن هنا بُطلانُ النبوة؛ لأنَّ تناقُضَهم دليلٌ على أنهم غيرُ صادقين"[17].

أما محمد أركون يُعَد من أكثَرِ من أطال النفس في منهجية التشكيكِ في الثوابتِ الإلهيةِ كالوحيِ وغيرِه، وفي هذه النقطةِ تحديداً يقول: "إنَّ الوحيَ ليس كَلامًا معياريًّا نازلًا من السماءِ لإجبارِ البشرِ على تَكرارِ طُقوس الطاعةِ والعَملِ نفسِها إلى ما لا نهايةَ، وإنما يَخلَع المعنى على الوجودِ. وهذا المعنى قابلٌ للتعديلِ"[18].

ومن التشكيكِ في عِصمةِ القرآن الكريم، يصِلُ هؤلاء إلى التصريحِ بأنه كلامٌ بَشري. فهذا مثلاً محمد أركون يقول: "إنَّ الخطابَ القرآني قد صيغَ لُغويًّا بصِفته جُهدًا ذاتياً مبذولًا لرفعِ نَفسِه إلى مستوى كلمةِ اللهِ الموحى بها"[19] ، يقول أيضا فيما أورده إسماعيل مظهر: "... والخطاب القرآني باعتباره مجموعةً من السوَرِ التي لُفِظت وقيلت في ظروف أوليةٍ خاصةٍ، فقد فُقِدت إلى الأبدِ، ولا يمكِن الوصول إليها، وأن فُقدان الرابطةِ كان قد ابتدأ بموتِ جيلِ الصحابةِ الأوَّلِ الذين شهِدوا انبثاقَ الظاهرةِ القرآنيَّةِ"[20].

أما نصر أبو زيد فيقولِ: "من الواقع تكوَّنَ النصُّ، ومن لُغتِه وثَقافتِه صيغَت مفاهيمُه، ومن خلال حركتِه بفاعليَّةِ البشَرِ تتجدَّد دَلالاتُه، فالواقعُ أوَّلًا، والواقعُ ثانيًا، والواقعُ أخيرًا"[21].

---

[15] جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ترجمة :جورج طعمه، دار الثقافة، بيروت،2013 م، ص 440.
[16] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1670، ص195.
[17] علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، الثابت والمتحول، بيروت، 1973م، ص82
[18] علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، أين هو الفكر الإسلامي، دار الساقي، بيروت، 1989م، ص 265.
[19] محمد أركون :القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، *دار الساقي بيروت* ، د.ت.ص21.
[20] إسماعيل مظهر :تاريخ الفكر العربي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017 م.، ص221.
[21] نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1992م، ص130.

بل أن بعضُ المُفكِّرين والباحثين اتباع الغرب المسيحي امثال طه حسين يذهب إلى نُقطة أبعد من التشكيكِ في القرآنِ والقولِ ببَشريتِه؛ وهو يعلن تجرده من دينه عند البحث، فقال: "يجب حين نستقبل البحث، عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به" [22].

حيثُ يرى أنَّ القرآنَ الكريم: قصةٌ (أسطورة) تُروى وهي في حقيقتِها نوعٌ من الأباطيلِ والخُرافاتِ والحكاياتِ التي يتسلَّى الناس بتناقُلها والاستماعِ إليها فقط. معتبراً "أن القرآن وضع إنساني فيه خرافة وفيه الكذب وأن النبي صلى الله عليه وسلم رجل سياسي فلا نبوة ولا رسالة، وأن أئمة المسلمين يكذبون في تأويل تاريخهم ويؤيدون هذا التاريخ بقول الزور والانتحال، ويستشهدون لقرآنهم وحديث نبيهم وهما أصلا الدين كله بشعر لفقوه تلفيقاً ونسبوه إلى أشخاص خلقوهم خلقاً، وما يؤثر عن شيء اسمه امرؤ القيس وغير امرئ القيس لا يوثق به، إذ لم يكن من هواشي، فالأحاديث الصحيحة كذب وأسانيدها التي حققها العلماء وحفظوها وتناقلوها وأجازوها كذب"[23].

فطه حسين يعد مِن أشهَرِ من شككَ في موثوقيةِ القرآن الكريم، ذلك لان كتابِه المشهورِ (في الشِّعرِ الجاهليّ) أثار ضجةً كبيرة في مصر والعالم الاسلامي، ووجهت إليه ردود كثيرة ومعارضات، وقد قاد هذه المعارضة علماءُ الأزهر، واتهم طه حسين في إيمانه، وسُحِبَ الكتاب من الأسواق لتعديل بعض أجزائه.

أضف الى ذلك المشككين الكاتبُ محمد أحمد خلف الله صاحب رسالة الدكتوراه والتي عنوانها (الفن القصصي في القرآن)، الذي يُعد من أبرز من صرح بأنَّ القرآن الكريمَ فيه أساطيرُ حيثُ يقولُ: " وإذا كان القرآنُ لا يَنفي ورودَ الأساطيرِ فيه، فإنّا لا نتحرَّجُ من القولِ بأنَ في القرآنِ أساطيرَ"[24].

ويقول أيضا: " إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث، وكذلك يصف القرآن بأنه أساطير الأولين كما وصفه به المشركون[25].

ويستدل بذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان:5). وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (الأنعام: 25)، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: 32)

فالقرآن عندما يذكر قصص الأنبياء يتجاوز الزمان والمكان والأشخاص والأحداث، ويركز في سرده القصة على أخذ العبرة والعظة، مثال ذلك عندما ذكر قصة موسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم من تلك القصص[26].

من هنا يجدر بناء التأكيد على أن ما ذكره محمد خلف الله لا ينطبق على القرآن الكريم، فهو يريد أن يخضع آيات القرآن وقصصه للمعايير الأدبية ،كأسلافه المغتربين والمستشرقين فقد :" أراد أن يفسر تلك القصص تفسيراً مادياً بالتاريخ، وكذلك نظر إلى الآيات بعدم قدسيتها، وهذا أمر لا يجوز، فالآيات القرآنية لها قداسة لأنها منزلة من عند الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فهو لا يخضع للمعايير البشرية، بل المعايير البشرية يجب أن تخضع له، فالقرآن عندما يذكر قصص الأنبياء يتجاوز الزمان والمكان والأشخاص والأحداث، ويركز في سرده القصة على أخذ العبرة والعظة، مثال ذلك عندما ذكر قصة موسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم من تلك القصص"[27].

---

[22] مصطفي صادق الرافعي، تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، 1421هـ، 2001م. ص146.

[23] مصطفي صادق الرافعي، المرجع نفسه، ص146- ص204.

[24] محمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، وما بعدها، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. 1972م.ص 179: فهد الرومي، تحليلًا ناقدًا لرؤية محمد أحمد خلف في (القصة القرآنية) في منهج المدرسة العقلية الحديث في التفسير د.ت،2/ ص 740-743

[25] محمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، وما بعدها، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. 1972م. ص 42.

[26] فضل عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، ورد شبهات، دار النشر، عمان، ط2، 1989م. ص 65.

[27] فضل عباس، المرجع السابق. ص 65.

هكذا يكون القرآن في نظر هؤلاء المستشرقين وغيرهم من التبع، قد تأثر بأفكار يهودية أو مسيحية تسربت إليه، وقد تضمن مصطلحات وشعائر دينية اقتبست من التوراة والانجيل، كما أن قصص الأنبياء وأسماءهم إنما أخذت عن اليهود، لأنهم يريدون أن يلجؤوا إلى هذا المنهج الخطير الذي يزعم تأثر القرآن بغيره من الكتب السماوية لكي ينفوا ربانية المصدر القرآني، ولكي يثبتوا اختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه.

بل وقد وصِل التأثيرُ في المغتربين إلى تلك الأركانِ العظيمةِ في الإسلامِ والتي جاءَ تشريعُها في القرآنِ الكريم، وهي عند المؤمنين من المعلومِ من الدِينِ بالضرورةِ، ومن مُحكَماتِ الدينِ ومسلماتِه.

ليس هذا فحسب بل أن تأثير المستشرقين في اتباعهم المغتربين، وصل الى التأويل والافتاء؛ فهذا مثلاً المغترب فرج فودة: أصبح يفتي ويؤول آيات القرآن بحيث صار يفتي في جرأة إلى حد إباحة الزنا في الإسلام، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنا﴾ (النور: 33)،

فادعى أن عملية الإكراه ممنوعة، وتجرأ على كبار الصحابة، وزعم أن هناك قاعدة إسلامية تقول: " يجوز ارتكاب معصية اتقاء فتنة". وقال أيضاً: " أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية، فوراً، أو حتى خطوة خطوة، لأني أرى أن تطبيق الشريعة لا يحمل في مضمونه إلا مدخلاً للدولة الدينية، ومن يقبل بالدولة الدينية يقبل تطبيق الشريعة، ومن يرفض الدولة الدينية يرفض تطبيق الشريعة"[28].

بل لم يكتفِ أتباع المستشرقين بتأويل النصوص ولكنهم نادوا بتعطيلها من هؤلاء محمد أحمد خلف الله حيث نادى بتفعيل آية الفيء والقيمة على أساس أن الزمن تغير[29].

يقول تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...﴾ (الحشر: 7)، بل اعتبر فرج فودة أن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ليس ملزماً لأحد لأنه اجتهاد بشري فقال: " إن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن قول بشر ومعنى قول بشر: أنه غير ملزم، أي يؤخذ منه أو يترك فلا يعقل أن يكون قول بشر له صفة الإلزام"[30].

وخطر ذلك يكمن في إن هذا المنهج الذي اتبعه المستشرقين-وجعل القرآن متأثراً ومقتبساً من التوراة والإنجيل- ينفي بطبيعة الحال، كل أصالة للدين الإسلامي ولربانية المصدر القرآني. وأن المستشرقون عندما يطبقون هذا المنهج على القرآن فإنهم يرجعون أسسه ومبادئه ومضامينه إلى أصول يهودية ونصرانية.

الخاتمة:

إن تشبع المستشرقين واتباعهم المغتربين بمنهج التأثير والتأثر راجع إلى كون أن هذا المنهج قد طبق بصورة واضحة في دراستهم لحضارتهم، فكل حضارة تستفيد من الحضارة السابقة عليها؛ فلا شك أن النهضة الأوروبية، قد تأسست على الحضارات السابقة التي تعدُّ الميراث القديم للفكر الغربي. وهكذا كلما أنشئ مذهب فكري وديني جديد وجد له نظير في الحضارات القديمة الشرقية خاصة؛ ومن خلال هذا تم تطبيق هذا منهج التأثير والتأثر على كل معطيات التراث الإسلامي ومنها القرآن وعلومه، وذلك من غير اكتراث بأصالة التراث الإسلامي ذي الأصول والأسس الاسلامية الواضحة المؤسسة على معايير دينية أصيلة، مستمدة مباشرة من الوحي الإلهي المنَزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا يتبين لنا عقم المناهج الاستشراقية في دراسة القرآن الكريم وعلومه؛ لأنها مناهج تعالج الظواهر والوقائع وفق منظور مادي وعقلي محض، وهذا ما لا يتناسب مع دراسة القرآن الكريم وعلومه التي لا تخضع لمنهج التجربة والملاحظة ولا يمكن أن تطوع لأحكام العقل.

---

[28] كامل سعفان، هجمة علمانية جديدة ومحاكاة النص القرآني، دار الفضيلة، ط5، 1993م، ص51,

[29] أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، 1972م، ص303.

[30] أنور الجندي، المرجع نفسه، ص304.

وإذا كان علماء الأديان الغربيون قد درسوا التوراة والأناجيل وفق تلك المناهج المادية في إطار من الدراسات الدينية المقارنة فإن أمر القرآن الكريم يختلف عن ذلك، فهو وحي إلهي لم تمسه تحريفات الإنسان أو تغييرات الزمان، لذلك وجب على من يدرسه ويحلل قضاياه أن يدرسه بعقلية تؤمن بالغيب وما يترتب على ذلك. وليس من المتاح لفئات المستشرقين قدامى كانوا أو معاصرين التخلص من خلفياتهم الفكرية التي نسجتها بيئات معينة وظروف خاصة، ولا من رؤاهم المادية والتغريبية التي أملتها في البحث والتحليل.

النتائج:

1. أن اعتماد المستشرقين على منهج التأثير والتأثر في دراسة القرآن وعلومه أدى إلى نتائج غير دقيقة؛ إذ تعاملوا معه كما لو كان نتاجًا بشريًا خاضعًا للتجارب التاريخية، متجاهلين طبيعته الإلهية المتميزة.
2. أن تطبيق المستشرقين لمناهج مادية وعقلية محضة على النص القرآني أفضى إلى إسقاطات لا تنسجم مع خصوصية الوحي، مما جعل نتائجهم أقرب إلى التفسير التاريخي والفلسفي منه إلى الفهم الديني الصحيح.
3. لقد أظهرت الدراسات الاستشراقية نزعة لتهميش أصالة التراث الإسلامي، وإرجاعه إلى مصادر خارجية قديمة، وهو ما يتعارض مع حقيقة أن القرآن الكريم وعلومه مؤسسة على الوحي الإلهي المباشر.
4. لم يتمكن المستشرقون من التحرر من خلفياتهم الفكرية والبيئية، فانعكس ذلك على نتائجهم التي اتسمت بالمادية والتغريب، وأدى إلى عجزهم عن إدراك البعد الغيبي والإيماني في القرآن الكريم .
5. إن التشكيك الغربي في النصوص المقدسة (التوراة والإنجيل) بسبب التحريف، انتقل عبر المستشرقين إلى بعض المفكرين المسلمين المعاصرين، الذين حاولوا إسقاط نفس المنهج على القرآن الكريم رغم اختلاف طبيعته وحفظه الإلهي.
6. ظهر أثر المستشرقين في كتابات عدد من المفكرين العرب (مثل أدونيس، أركون، نصر أبو زيد، طه حسين، حسن حنفي، خلف الله وغيرهم)، حيث شككوا في النبوة، وفي عصمة القرآن، واعتبروه نصًا بشريًا أو أسطوريًا، مما أدى إلى زعزعة الثوابت الدينية عند بعض الدارسين.
7. أن محاولة هؤلاء المفكرون إلى إخضاع القرآن لمناهج أدبية أو تاريخية محضة، معتبرين قصصه وأساليبه مجرد أساطير أو نتاج ثقافي، وهو ما يمثل خطورة بالغة لأنه ينفي ربانية المصدر القرآني ويجرده من قدسيته.
8. أن خطر المنهج الاستشراقي على الهوية الإسلامية، يهدد الثوابت العقدية ويضعف المرجعية الدينية للمسلمين.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق المنتدى الإسلامي، لندن 1411هـ.
3. إسماعيل مظهر :تاريخ الفكر العربي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017 م.
4. ألفريد جيوم: الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هداره ود. شوقي اليماني، مصر: مكتبة النهضة، ط1، 1958م.
5. أنور الجندي، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة، 1972م.
6. باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1670
7. بالشير: كتاب "القرآن" نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1974م.
8. جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة 1948م.
9. جون هرمان راندال، تكوين العقل الحديث، ترجمة :جورج طعمه، دار الثقافة، بيروت، 2013م.
10. دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، النسخة العربية (القاهرة: دار الشعب).
11. علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، الثابت والمتحول، بيروت، 1973 م.
12. علي أحمد سعيد إسبر أدونيس، أين هو الفكر الإسلامي، دار الساقي، بيروت، 1989م.

13. فضل عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن، ورد شبهات، دار النشر، عمان، ط2، 1989م.
14. فهد الرومي، تحليلًا ناقدًا لرؤية محمد أحمد خلف في (القصة القرآنية) في منهج المدرسة العقلية الحديث في التفسير.
15. كامل سعفان هجمة علمانية جديدة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، طبعة أولى: 1994
16. كامل سعفان، هجمة علمانية جديدة ومحاكاة النص القرآني، دار الفضيلة، ط5، 1993م.
17. لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978م.
18. محمد أركون :القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، *دار الساقي بيروت*، د.ت.
19. محمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، وما بعدها، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. 1972م.
20. محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت،1983 م.
21. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط1، 1404هـ.
22. مصطفي صادق الرافعي، تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، 2001م.
23. نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1992م.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JSHD** and/or the editor(s). **JSHD** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.